الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦٩ — ٢٠ شوال سنة ١٣٥٨ — أول ديسمبر سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
١٠٩٨	لقد كنت أبا مستبداً ...	من الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
١١٠٩	الكرنيرة المؤقتة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ ف ع ١٠ ... ...
١١١٣	إنقاذ العلم	للكاتب الفرنسى أوكتاف فوييه	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
١١١٥	تسلية مزمار	للكاتب جورج سيرديث ...	بقلم الأديب شفيق ذهنى ...
١١١٨	العش الخالى	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
١١٢٢	نيل الحب	أقصوصة شرقية	بقلم الأستاذ مراد الكردانى ...
١١٢٥	ليلة الذكرى	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب محمد محمود المليجي ...
١١٣٠	زوجا غرام	القصصى الدانمركى أندرسن ...	بقلم الأديب كمال الحريرى ...
١١٣٢	سر المعلم كورنى	للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه	بقلم الأديب عبد الغنى العطرى ...

لقد كنت أباً مستبداً

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« أكانت تصرفه نتيجة حبه ابنته
أم نتيجة غيرته من الرجل الذى أحبته ؟ »

* * *

الغيرة لعنة هائلة . وسل عن هذه الحقيقة أى إنسان ابتلى بما يبعث إلى النفس غول الغيرة « الأخضر العين » من الغصص والشكوك والعذاب، والغيرة على الشخص الذى تحبه رجلاً كان أو امرأة شىء غير مستحسن إلى حد ما . ولكن الشىء المقطوع بأنه لا مبرر له على الإطلاق هو الغيرة على ابن الإنسان من لحمه ودمه

وأنا عالم بهذه الحقيقة لأننى كنت أباً يغار على ابنته ، لقد كنت أحبها حباً جنونياً ، ولم أكن لأحتمل أن أرى رجلاً آخر ينظر إليها نظرة تنم عن الحب والرغبة ، بل حتى قبل هذا كنت أكره أن تبتعد عنى لتلهو بلعبها . وكان الألم يحز فى قلبى إذا رأيتها وهى طفلة تتسرب إلى ساعدى أحد الجيران الذين يحبونها وقد فتحهما مرحباً بها

ألا يرى القارئ أن هذا شىء كريه وغير طبيعى ؟ ولو كنت خيراً مما كنت بالفعل لحاربت هذا النقص فى نفسى وتغلبت عليه . فالأب الذى يحب ابنته حباً صادقاً يحب أكثر من كل شىء آخر أن تتمتع ابنته بكل ما خولتها طبيعة المرأة من حقوق . فتنعم بالحب والعطف من الرجل الذى اصطفته نفسها ... الرجل الذى لعلاقته بها معنى لا يمكن أن يكون لعلاقة أبيها بها على الإطلاق .

لقد كنت رجلاً صلب الإرادة كونت نفسى بنفسى وكنت أعيش فى « دربيشير » على مقربة من بلدة اسمها « دايك » وكان أبى مزارعاً ولكننى لم أحبب قط الكدح المستمر فى حياة الزراعة ، ولم أكن لأحتمل أن أرى التغير المفاجئ فى الجو من صقيع قارس إلى شمس محرقة أو مطر غزير يتلف عمل السنة كلها

ذهبت إلى « دايك » فى السنة التى تركت فيها المدرسة وحصلت على عمل كتابى عند تاجر من تجار الغلال والحبوب . فلم تمض خمس سنوات حتى امتلكت ذلك المتجر ، وأصبحت قياساً على مستوى الحياة فى « دايك » رجلاً غنياً ، وكنت رجلاً متكبراً شديد الإرادة ، تعودت أن أسلك الطريق التى تروقنى وأن أذهب إلى أبعد المدى للحصول على ما أرغب فى الحصول عليه

وكنت شديد الغرور بنفسى حتى حسبتنى قد عملت عملاً مدهشاً عند ما تزوجت من فتاة من إحدى المزارع المجاورة ولم أتزوج من إحدى فتيات البلدة التى أعيش فيها ، ولقد كانت « وتى نورفل » فتاة حلوة محبوبة ، لها عينان زرقاوان لطيفتان وشعر ذهبى جعد . وكانت وديعة رقيقة حتى لقد رضخت لى فى كل شىء . وليس من شك فى أن ذلك لم يكن بالأمر الصالح لى فقد زادنى استبداداً وتحكماً

وبعد زواجنا بأربعة أعوام رزقنا بابنتنا الصغيرة

« ميرا » وكانت ولادتها عسرة تألمت منها « وني » أشد الألم ، وحذرني الدكتور جريفن من أن أرزق بأطفال جدد . ولكنني لم أتعود أن أعمل بما يقدم لي من نصح . وكان من جراء ذلك أنه عند ما وضعت امرأتي بعد سنتين ولداً ثانياً ماتت هي والولد جميعاً

وأحضرت أختي « نانسي » لتسكن معي وتدير شئون بيتي . وكانت عزباء رفيعة الوجه ذات كفاية ومقدرة . وكان لها مال تستثمره في العقار فكانت من الناحية المالية في حال مرضيه، ولكن كان يسرها أن يكون لها بيت، لذلك رغبت عن رضا في إدارة شئون بيتي

ولم تحسن العلاقة قط بين أختي وبين « ميرا » فقد كانت « ميرا » مستقلة عنيدة ، وكانت ظريفة إلى أقصى حدود الظرف ، عيناها براقتان يضرب لونهما إلى الزرقة الداكنة ، وكان شعرها مجموعة من التجاعيد المصقولة

ولقد قلت إنني لم أكد أحب أن « ميرا » تنظر إلى أي إنسان آخر حتى عند ما كانت طفلة ، على أن الحنق بدأ يقتل نفسي عند ما وصلت ابنتي إلى السن التي تجذب إليها أنظار الفتيان الذين أخذوا يلتفون حولها

وفي الحق كان الشبان يتقاطرون أسرابا ليدوروا حول ميرا كما يدور الفراش حول الضوء الساطع . فكنت إذا جئت البيت وجدتهم يغنون في غرفة الجلوس أو جالسين في الحديقة أو مشتغلين بصنع الحلويات في المطبخ

لم يكن في ذلك شيء أكثر من أنه تسلية بريئة سعيدة ، وكان من الواجب أن أشجعها وأرحب بها بدلاً مما كنت أبدي من جفاف، إذ كنت أظهر ، وإن لم أصرح ، عدم ارتياحي إلى هذه الاجتماعات . على أنني كنت دائماً ألبي جميع طلبات ميرا ، فلم يكن هناك ما يبرر حرمانها أن تتمتع بصحبة رفاقها من الشبان ، وما أشك في أنها لم تسيء قط الظن في شعوري حيال سلوكها

ووقعت « ميرا » آخر الأمر في شرك الحب — وكان حباً جدياً عميقاً — وكان حبيبها ابن أحد المزارعين واسمه كريستوفر هاريسون ، وقد عرف أحدهما الآخر منذ أيام المدرسة . ولم أنكر في نفسي وشعور الحسد يكتنفني أنه فتى جميل واضح القسمات يدل تركيب شه على القوة والحزم وله عينان براقتان يقظتان ...

وقد رأيته مرة في البلدة فأقبل عليّ في هدوء وسألني إن كنت اسمح له أن يوصل « ميرا » إلى البيت في سيارته فلم يسعني إلا أن أوافق على طلبه .

وكانت الليلة مقمرة لطيفة ، ولم تكن المسافة بين البلدة والبيت بعيدة ، فراقبتهما وهما يستقلان سيارته القديمة المكسورة ، وعلى حين فجأة لحظت في عيني « ميرا » نظرة وقعت من نفسي موقع الوخز بالحديد الملتهب ، نظرة امرأة يتجلى قلبها في عينيها بادياً لرفيقها فاستقلت سيارتي وتبعتهما عن قرب حتى لا يغيبا عن عيني ، كأنما كنت أخشى أن يهربا إلى مكان بعيد ، ولكنهما قصدا إلى البيت مباشرة ودخلا إلى غرفة الجلوس يضحكان مبتهجين، وأدارا الفونغراف يستمعان إلى نغماته بينما كنت أتمشى في الحديقة الخلفية أمام نوافذ الغرفة

ولم تلبث نانسي أن دعتني للدخول إلى المطبخ حيث كانت جالسة وقالت لي في لهجة عنيفة :

— أرجو ألا تكون معتزما أن تسمح بزواج ميرا من هذا الفتى ابن المزارع ، إنها إن فعلت ذلك فلن أعطيها فلساً واحداً من ثروتى

فأجبتها فى شىء من الاعتراض وكأنما وجدت فى قولها ما ينعش آمال قلبى :

— إن مجرد زيارة فتاة زيارة عادية لا يعنى الرغبة فى الزواج

فقالت أختى :

— إنه يتردد على زيارتها منذ وقت طويل ، وفى نظرات أحدهما إلى الآخر معان بعيدة ما فى ذلك من شك . وإنى لأود أن أرسلها إلى الكلية حيث تتوافر لها فرص التعرف بشبان أغنياء من أبناء الأسر الكبيرة

ووافقت نانسى على ماقالته فيما يتصل بكريستوفر ، ولكننى لم أكن راغباً حتى فى أن تقابل « ميرا » أحداً من أبناء الأسر الكبيرة ، بل لم أكن ، فى الواقع ، أحب أن ترى أى إنسان على الإطلاق

لم أندهش إذن عند ما جاءنى « كريس » بعد بضع ليال فحيانى بتحية لطيفة على الطراز القديم وخطب إلىّ « ميرا » زوجاً له

فما سمعت قوله حتى أحسست أن الألم يحز فى قلبى حز السكين ، وشعرت كأن الغضب يتحرك فى نفسى . ولكننى حتى فى لحظة ألمى الجارح علمت أن الغضب لن يؤدى إلى نتيجة ما . فقلت فى هدوء :

— إنى لأحترمك يا بنى لمجيئك إلىّ كما يفعل الرجال تخطب إلىّ ابنتى فهل لى أن أسألك إن كنت تحبها ؟

فقال فى صوت هادئ مضطرب تبدو فيه نغمة الجد والشجاعة :

— من كل قلبى يا سيدى

فقلت :

— إذن إن كنت تحبها حقاً فيجب أن تفكر فى مصلحتها ورفاهتها ، وأظنك ترى أن حياة زوج المزارع ليست بالحياة اللينة المريحة و ...

وقطع الفتى علىّ الحديث فى تحمس وقال :

— سأعد كل ما تتطلبه راحتها ورفاهتها فقد أعطانى أبى حقلاً من الشعير ، ووفاقاً لثمن الشعير الحالى سأحصل منه على مائة من الجنيهات صافية فى الخريف المقبل ، وقد وعدنى أبى بأن يعطينى ثلاثين فداناً من أرضه متى تزوجت . وإنى لأستطيع بمائة الجنيه أن أبنى داراً صغيرة جميلة وإنك لتعلم أننى بحار ماهر

واختفت غنة البهجة من صوت الفتى وتلاشت نظرة السعادة من عينيه لما رأى من سكوتى التجهم

وقلت آخر الأمر فى لهجة رقيقة :

— إن هناك فارقاً يا « كريس » بين الحب وبين الحياة . فلقد كنت أنا نفسى أعيش فى مزرعة — وكذلك كانت تعيش معى فيها أم « ميرا » ولكننى أقول لك فى صراحة إننى كنت أرجو لابنتى حياة خيراً من هذه

فعلا الاصفرار وجهه عند ذلك وصاح صيحة اليائس :

— أعدك بأننى سأحرص الحرص كله على أن لا يكون هناك أى تقصير فى إعداد ما تحتاج إليه ميرا أو تطلبه

وكانت كلماته كأنها القسم العظيم

ومضيت أقول فى شىء من القسوة :

— نريد كلانا أن ننظر فيما يحقق سعادتها ، فإذا

كانت سعادتها الحقيقية منطوية فى زواجها منك فلن أمانع فى ذلك . وأود أن تكون على يقين من ذلك . لهذا يحسن أن تنتظر عامين

وقلت فى نفسى إن أمراً قد يحدث فى أثناء العامين ـ فقد تنساه « ميرا » وقلت فى نفسى أيضاً إننى حقيقة لا أحب لها أن تكون زوج مزارع ، ولكننى كنت أعلم من نفسى أننى لا أحب أن تصبح زوج أى إنسان على الإطلاق

وتكلمت فى اليوم التالى مع « ميرا » بمثل الأسلوب الذى تكلمت به مع كريستوفر ، فقلت إنه ليس من مصلحة الفتى أن يثقل عاتقه وهو لا يزال مبتدئاً بتبعات الزواج والبيت الجديد ... ودهشت أن وجدت « ميرا » على غير عادتها هادئة مفكرة ، وقالت لى آخر الأمر :

— إنك لتعلم يا أبى أنك كنت لى دائماً مدللاً لا ترفض لى طلباً ، وإنى لأعلم أنك تفكر فى خيرى عند ما ترى أن حياة المزارعين قاسية علىّ

وهنا اهتز صوتها بفنة سعادة لم أسمعها منها من قبل وقالت :

— ولكنك ترى أننى قد كبرت منذ أحببت « كريس » فأنا أود أن أعمل من أجله وأن أشاطره حياته ومتاعبه . فما أريد أن ألعب بعد الآن ، ولكننى أريد أن أعيش مع الرجل الذى أحب ، أقيم بيته وأحيطه بعنايتى وأرزق بأطفاله

فشعرت فجأة بأن جبهتى قد بردت وتصببت عرقاً ، وأدركت منزعجاً أننى أواجه أمراً أكبر مما قدرت بكثير ، فلم يكن هذا الحب حب تعجل وطيش ، ولكنه حب عميق صادق قوى . وبقيت لحظة أسائل نفسى وعوامل الغيرة تتنازعنى : بأى حق أعارض إرادة الله ! وكدت فى لحظة أخرى أن أسلم بالهزيمة . فوا أسفا . . . لو أننى تملكت نفسى قبل أن أرتكب ذلك الخطأ القاسى الشنيع ! !

فبدلاً من أن أسلك طريق الحكمة محترماً إرادة الله قلت متحايلاً :

— إذا كان هذا هو شعورك يا عزيزتى « ميرا » إذن يجب أن تتزوجى منه

وكأن السعادة كائن حى فاضت به عيناها عند ما سمعت هذه الكلمات ... ثم مضيت أقول :

— ولكنك ترين أن عمتك « نانسى » معارضة فى هذا الأمر معارضة شديدة ، وهى تريد أن ترسلك إلى الكلية ، وتقول إنها لن تترك لك فلساً واحداً من ثروتها إذا أنت تزوجت من « كريس »

فضحكت « ميرا » ضحكة قصيرة وقالت :

— تستطيع أن تقول لعمتى « نانسى » أن توصى بجميع ثروتها لأول خنزير صغير تصادفه فى الطريق فما كان أمر هذه الثروة ليهمنى فى شىء على الإطلاق ... وما أظنك تحسبنى أترك المال يحول بينى وبين كريس ، ألست من رأيى فى هذا ؟

وعندئذ لعبت بورقتى الرابحة فقلت :

— سأقول لك يا « ميرا » شيئاً أكره أن أقوله ، فقد اقترضت خمسمائة جنيه من نانسى فى الخريف الماضى عند ما أتممت بناء الجناح الجديد فى البيت وهى تهددنى بأن تأخذها عن آخر بنس ، وأنا الآن فى أزمة مالية فإذا هى نفذت وعيدها خربتنى ، وهى تقصد إلى التنفيذ وأنت تعرفين أنها قصيرة التفكير غير حكيمة التصرف . فإذا أنت صبرت سنتين فقط وذهبت إلى الكلية كما تريدك على أن تفعل لدى العامين لا أكثر ، فإننى أعدك بأنك

إذا كنت بعد هذه المدة لا تزالين تحبين « كريس » فسيكون لك ما تريدين . وإنه ليجرح قلبي أن أسألك هذه التضحية يا « ميرا » ولكن فى ذلك خدمة كبيرة لى فى مقدورى أن أسدد دين نانسى فى أثناء هذه الفترة

فبقيت ميرا صامتة لحظة طويلة ثم قالت آخر الأمر :

— سأفعل ذلك من أجلك يا أبى

وجرت الدموع من عينيها ولم تستطع أن تملك نفسها دون البكاء وتعلقت بى وكأنما قلبها يكاد ينفجر وقالت :

— إن سنتين تبدوان كأنهما الأبد

وشعرت مرة أخرى بوجوب التزفق مع ابنتى فقد كان حقاً أننى مدين لنانسى ببعض المال ، ولكن كان فى مقدورى أن أحصل عليه من طريق أخرى . ولكننى لم أكد أستطيع احتمال فكرة هذا الزواج وكنت راغباً الرغبة كلها فى أن أحول دونه بأية وسيلة من الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك إلى أن أبعد عنى ابنتى التى أعبدها

وجاء « كريس » إلى بيتنا ليودع « ميرا » فى اليوم الذى حدد موعداً لسفرها ، فلما مررت بغرفة الجلوس سمعته يقول :

— جئت لأودعك ياحبيبتى فهل تسمحين لى ؟

ووقفت أرقبهما فى هدوء ، وكانت ميرا متعلقة به ، وقد أسند وجهه الأبيض ، وقد ارتسمت عليه أمارات الألم ، إلى رأسها الجميل اللامع ، فلم يلبث أن أدار وجهها فى رفق ، وقد اضطربت شفتاها حتى وهى تحاول أن تبتسم له ... وسألها فى صوت أجش :

— أتخلصين لى دائماً ؟

فهزت رأسها إيجاباً ولم تنبس بكلمة واحدة ، فانحنى عليها وقبل الثغر الجميل المرتجف ، وضمها إلى إلى صدره فى شدة كأنما يريد ألا تفلت من بين يديه وابتعدت عن هذا المنظر ، وقد اهتزت يداى ، لأهدىء موجة الغضب التى طغت على نفسى ، فقد خيل إلىّ أن أقتل « كريس » بيدى الماريتين

وكانت « ميرا » تكتب إلى كل أسبوع خطاباً تتصنع فيه الانشراح تصنعاً ، وكنت أدرك من خلال سطورها أنها تشعر بالوحدة ومرض القلب . وكنت أرى « كريس » من حين إلى حين ، وقد رأيته أحد أيام الآحاد فى الكنيسة تصحبه فتاة رائعة الجمال ، فقالت لى « نانسى » :

— يظهر أن حالة « كريس » على ما يرام فهل لا ترى ذلك ؟

ولقد علمت فيما بعد أن هذه الفتاة كانت ابنة عمه وما أشك فى أن « نانسى » قد كتبت إلى ميرا تخبرها بأمر هذه الفتاة . فقد لاحظت على أثر تلك المقابلة أن نغمة جديدة قد تسربت إلى خطابات ابنتى . فقد أصبحت كثيرة الكلام وأشد احتمالاً للظروف المحيطة بها . وقالت إنها قابلت طبيباً شاباً ، وذكرت فى أحد خطاباتها أنها ذهبت معه إلى أحد المشارب العمومية وشربا معاً

ولقد فزعت لهذه الأخبار ، ولكنها لما استمرت تكتب عن ذلك الطبيب بالأسلوب العادى اعتقدت أن ما أردته قد حدث . فالظاهر أنها قد نسيت « كريس » .

ولم ألق بالاً إلى ما كان عليه « كريس » من جد فى العمل وإخلاص وصبر جميل ، ولقد بدأ الفتى

بالفعل بنشىء بيته الجديد على أجمل وألطف ذوق لا يكون إلا لحب صادق الحب

وحوالى نهاية السنة تلقيت رسالة برقية من الكلية تنبئنى بأن « ميرا » مريضة ، أو هى على الأصح ثائرة الأعصاب وأنها أعطيت أجازة للعودة إلى بيتها

وفى الوقت الذى تسلمنا فيه هذه الرسالة كانت ميرا قد استقلت القطار بالفعل . ولما استقبلتها أنا وناسى على المحطة ، كادت ضربات قلبى تقف لما شهدت من منظر ابنتى ، لقد كان لوجهها بياض الموت ، وقد أحيطت عيناها بهالتين تنبئان عن الإعياء ، وقد وقفت مترنحة تكاد تفقد إحساسها

إذن كان هذا الذى أرى هو نتيجة قسوتى الماضية ، لقد انتزعتها من بين ساعدى الرجل الذى أحبته ، فعادت إلينا صفراء مريضة . لقد أخذناها إلى البيت مباشرة وأرقدناها فى فراشها . وأردت أن أرسل فى طلب الدكتور جريفن ، ولكن ميرا عارضت فى ذلك والدموع منهمرة من عينيها وكادت تفترسها نوبة عصبية ، وقالت :

— لا أريده ... أنا . أنا لا أريد أن أراه ... ليس بى من شىء غير تعب قليل فى القلب ... وكل ما أحتاج إليه هو أن أكون فى بيتى وأن ألجأ إلى الراحة والهدوء . . . وبعد ذلك أشفى تماماً ...

ورأيت آخر الأمر أن أهدئها فوافقت على عدم استدعاء الطبيب ، وتحسنت حال ميرا بضعة أيام . ثم حدث ذات مساء أن خرجنا بها فى السيارة للتروض فمررنا بالبيت الصغير الذى يبنيه « كريس » ولا أظن أن الفتى كان يعلم حتى بعودة ميرا ، أما هى فلم تذكره مرة واحدة . . . فلما رأت البيت سألت عن غير قصد :

— بيت من هذا ؟

فسلكت حلقى وقلت :

— هذا ... هذا بيت كريس

ثم أتممت الجملة متقطعة :

— وأظن أنه لا يزال يبنيه لك

فبدت فى عينى ميرا نظرة يأس مفاجئة وقالت :

— لى أنا ؟

ثم قالت فى صيحة كأنها خارجة من قلب مكلوم :

— ولكننى ظننت أن كريس قد تزوج

فسألتها فى لهجة غير المصدق :

— ماذا ؟

فاختنق صوتها وارتجفت يداها وهى تخرج من حافظة أوراقها قصاصة من إحدى الصحف وتقول :

— نعم ، نعم ، انظر ... انظر ... إن خبر زواجه مكتوب هنا فى الجريدة المحلية ، وقد أرسل لى بعضهم هذه القصاصة

وبالفعل كان فى نهر الأخبار من الصحيفة المحلية قطعة جاء فيها أن كريس هاريسون قد تزوج من الفتاة أميل ماسون فى اليوم الثلاثين من شهر ابريل فى كنيسة سنت دافيد الخ . . .

فضحكت ضحكة قصيرة وقلت :

— أوه . . . إن الذى تزوج هو كريستوفر هاريمان . فكل إنسان هنا يسميه كريس أيضاً ... ولقد أخطأت الجريدة فى ذكر اسمه الثانى

وبقيت ميرا لحظة تنظر أمامها وفى نظرتها أقسى معانى الأسى التى رأيتها فى حياتى . فلما نظرت إلىّ كانت عيناها كأنها قد نظرتا إلى السماء نظرة أخيرة ثم أحدقتا فى الظلام . . . وهمهمت باسم كريس فى صوت ينم عن اللهفة الموجعة واليأس . ثم فقدت وعيها ...

ولا بد أن يكون كريس قد سمع بعودة « ميرا » فإنه جاء إلى بيتنا فى اليوم التالى لزورها ... ولكنها لم ترد مقابلته ... وعلى الرغم من أنه كان يزورنا فى كل يوم فإنها بقيت مصرة على عدم مقابلته

وما زالت مريضة صفراء اللون ضعيفة ... ولكنها لم تقبل أن يعودها الطبيب . وكلما أشرت إلى رغبتى فى استدعائه أصابتها نوبة عصبية ... واضطررت أن أخضع لإرادتها وألا أهتم بأمر صحتها. وكنت أشعر فى أعماق نفسى بالارتياح والسرور لما ظهر من نجاح خطتى فى التفريق بين ميرا وكريس

وحاولت عبثاً أن أعرف شيئاً من أمر علاقتها بالطبيب الذى خرجت معه عند ما كانت فى الكلية ملاحظاً أنه لم يكتب لها قط

وأخيراً جاءها خطاب ، يحتوى على خبر زواج ذلك الطبيب بإحدى فتيات المجتمع فى اليوم الخامس من شهر يونية بعد ثلاثة أسابيع فقط من عودة ميرا إلينا

فما قرأت هذا الخبر حتى استحال لون وجهها إلى شحوب الموت وهمت جالسة فى سريرها وقالت لاهثة :

— لقد وعدنى ... لقد وعدنى

ثم جرت خارجة من الغرفة صارخة

فلما أبديت رغبتى بعد ظهر ذلك اليوم فى دعوة الدكتور جريفن قالت فى صوت خافت مجهود :

— لا بأس ... غداً ! وإنى لأعدك بأن أراه إذا وعدتنى بشىء واحد ... هو أن تدعو كريس لمقابلتى على انفراد فى هذه الليلة ... وليس ما يدعو لأن تعلم عمتى نانسى بشىء من أمر هذه المقابلة

ولقد أردت أن أرفض ولكن اصفرار وجهها أزعجنى إلى مدى أبعد مما حاولت التظاهر به ... وعلى كل حال لم يعد بادياً عليها أنها لا تزال تحب كريس ... ولم يكن لى بد من أن أتخير بين صحتها وبين حبها ...

فقلت فى صوت مخشوشن :

— فليكن ما تريدين

فأشرق وجهها الجميل بنور باطنى ، وهمست وهى تضمنى فى شدة إلى قلبها :

— آه ... يا أبى ... إذا حدث لى أى شىء فاذكر أننى أحببتك دائماً أكثر من كل إنسان إلا كريس ... وإننى أفضل ألف مرة أن أموت على أن أدنس اسمك

لم أستطع أن أدرك ما كانت تعنيه بقولها ... ولكنى أظن أن ضميرى لا بد أن يكون قد تألم فى تلك اللحظة ... فقد شعرت بالخجل من حبها الشديد لى وثقتها الكبيرة بى ... وكدت أفرح فعلاً فى تلك الليلة بدعوتى كريس لمقابلتها

ولما عرضت عليه رغبتى فى زيارته بدا كأنه قد تبدل شخصاً آخر ، فقد أضاءت عيناه الوفيتان بنور العظمة الراسخة ، وكأن تحول الضنى الذى كان ملماً به قد زال عنه فى الحال. وكانت ميرا جالسة يحيط شعرها الذهبى الجميل رأسها هالة تزيد فى روعة جمالها ... فلما دخل كريس إلى الغرفة ... رأيت فمها يرق وتضطرب شفتاها عند ما ضمها إليه وقبلها فى رقة بالغة

أقفلت الباب ورائى فى هدوء ... وقضيت بقية الليلة أسمع همهمة صوتيهما الخافتين وهما يتحدثان فى ثبات ... وفى الساعة الثانية عشرة فتح الباب على حين فجأة وانصرف « كريس »

وفى اليوم الثانى حضر الدكتور جريفن وكانت ميرا كأنها شبح الموت نفسه ، وكأن عينيها حفرتان تفيضان بماء الهول والجزع ، وقضى الطبيب فى غرفتها وقتاً طويلاً

فلما خرج تبعته إلى سيارته . . . وكان وجهه متجهماً عند ما قال لى فى تأن :

— لم أكن أحب ياجون أن أقول لك ماسأقول

فتولانى الجزع وصحت :

— ماذا بها . . . أهو قلبها المريض ؟

فقال الرجل وهو يحول نظره عن مواجهتى :

— نعم ليس من شك فى أن قلبها ليس سليماً إلى الحد الكافى . . . ولكن . . . ولكن . . . ليس هذا هو ما تشكو منه . . . فإن « ميرا » ستصبح أماً بعد وقت ما

فوقفت مكانى وكأنما قد شللت من هول الصدمة التى أصابتنى . ولما بدأت الدنيا التى كانت تدور بى تستقر أمام عينى كان الدكتور جريفن قد ذهب . . . فالتفت وصعدت الطريق الموصل إلى باب البيت . . . وكنت أمشى كالشيخ الهدم المتقاص

وما أحب أن ألقى مسؤولية ما حدث بعد ذلك على عاتق أحد غير نفسى . وإنى لأظن أنه لولا نانسى لتبينت مبلغ البشاعة التى انطوى عليها خطأى الماضى فلم أرد فى أعماق قلبى أن أعود لمخالفة مشيئة الله . . . فقد أردت أن أدافع عن ابنتى وأحميها وأعنى بأمرها

ولكن نانسى لم تكد تسمع الخبر حتى أصبحت كمن أصابه مس . لقد كانت نانسى شيخة لا تدرى شيئاً من أمر الحب والضعف الجسمانى . فلو أن أمر الحكم على « ميرا » راجع كله إليها إذن لكان لها فيه رأى أى رأى . . .

ولقد قالت وصوتها يزداد ارتفاعاً كلمة بعد كلمة :

— أو بعد العناية التى أحطناها بها فى نشأتها يحدث هذا ؟ إذن كان خيراً لو تزوجت من ابن ذلك المزارع الذى لا يصلح لشىء !

ثم قالت وكأن صوتها تكتنفه ألواح من الجليد :

— لم يبق هناك غير شىء واحد هو أن نجد وسيلة للتخلص من أثر هذا العار

فقلت :

— ولكن فيما تريدين يا نانسى خطراً على ميرا . فماذا تكون الحال إذا أصابها شىء ؟ . . .

فأجابت أختى عابسة فى لهجة حازمة :

— لن يحدث شىء . . . فالشيطان يعنى دائماً بأمر نفسه . . .

ولكن كل حاسة كريمة فى نفسى — ولا بد من أن يكون هناك أثر للشعور بالكرامة حتى فى نفس أسوأ الناس — حارب الفكرة كلها حرب يأس واستقتال ، وبدأت المعارضة بقولى :

— ولكن أين نذهب . . . ومن أين آتى بالمال ؟

فقاطعتنى نانسى بقولها :

— خير لك أن تفكر فى الفضيحة ، إذ يرى الناس « ميرا » وبين يديها طفل لا أب له ! . . . اذهب إلى « رولنجز » وقابل مسز كوك فهى تعرف هناك رجلاً اختصاصياً فى هذا الأمر ، وستعطيك عنوانه . وسأدفع أنا الأجر

وهكذا صحبت ميرا فى سيارتى إلى « رولنجز » بعد ظهر ذلك اليوم . وفى الحق أننى لم أتبادل مع ابنتى أية كلمة بعد أن دخلت إلى غرفتها وقلت فى لهجة جافة :

— لقد جرى حديث بينى وبين الدكتور

جريفن ، فأعدى حقيبتك يا ميرا لأننا ذاهبان من هنا .

فقالت ميرا فى لهجة يمازجها الألم الصارخ :

— ولكن لم نذهب يا أبى ؟

فقلت :

— أظنك تعرفين السبب

ثم تركتها وانصرفت ...

ولما مررنا فى طريقنا بالبيت الذى كان كريس مشتغلاً ببنائه شعرت بأنها قد تقلصت إلى جانبى على حين فجأة ، كأنما قد أصابها ألم أعظم من أن تقوى على احتماله . وأحدقت فى البيت وقد تبدى قلبها فى عينيها كمن ينظر إلى حبيب ميت

وإنه لما يغريني الآن بعض الشيء أن أذكر ما كان من ترددى وتفكيرى فى إلغاء رحلتنا إلى رولنجز لما شهدت من كآبة اليأس التى بدت على وجه ميرا . وخطر لى لحظة أن أقف إلى جانبها فى محنتها ... كما أنا واثق أن أمها كانت تفعل لو كانت على قيد الحياة ...

ولكن الكبرياء تسربت إلى نفسى فسرقت قلبى ، وحال بينى وبين تنفيذ ما فكرت فيه ما ذكرت من غضب نانسى وآرائها القاسية . ولم أفكر فيما يكون من حياة حفيدى الذى لم يولد بعد

وقصدنا إلى بيت مسز كوك ... ثم قصدنا بعده ونحن ساكتان إلى الطبيب الذى أخذنا عنوانه منها . فقابلنا الطبيب غير مبتسم ولو أننى لحظت أثر الإعجاب المفاجئ الذى بدا على وجهه عند ما رأى جمال «ميرا» الباهت الضعيف

ولما فتح الرجل باب الغرفة الداخلية تنبهت جميع حواس ميرا على حين فجأة ... وبدت على وجهها آثار العار واليأس والفزع مجتمعة ... فأجفلت متراجعة وصاحت فى صوت موجع :

— لا ... لا ...

ولكن الطبيب أمسك بساعدها فى قوة حتى إذا وصلت إلى الباب تلفتت إلىّ ، ولن أنسى فى حياتى نظرة الفزع والتوسل التى ارتسمت على وجهها الجميل الحزين عند ما سحبها الطبيب فى لطف إلى داخل الغرفة وأغلق الباب وراءها

وبعد بضع دقائق خرج الطبيب وحده . وقال : إنه تحدث تليفونياً مع الممرضة التى تساعده فى مثل هذه الحالات ... وطلب منى أن أذهب لقضاء الليلة فى أحد الفنادق وأعود إليه فى الصباح ، ثم أبدى رغبته فى أن أدفع له أجر العمل الذى هو مقدم عليه

وبعد أن تركت ابنتى العزيزة ، بين يدى ذلك الرجل القاسيتين ، لتواجه وحدها أكبر مأساة تواجهها المرأة فى حياتها ، لم أذهب إلى الفندق

وبدلاً من ذلك مضيت أتجول فى الشوارع مكسور القلب حزيناً . وبدأت السماء تمطر ولكن قطرات الماء كانت تتساقط على كتفى المنحنيتين فلا أشعر بها ... لقد أرى نفسى فى ذلك الوقت على حقيقتى — رجلاً قاسى القلب ، متحكماً عنيداً ... أنانياً شرير الأنانية لأنه كان يخفيها وراء ستار من الشفقة المصطنعة

ولو لم يكن الطبيب قد بدأ عمله الآثم لكنت وقفته فى الحال . وقلت فى نفسى إن هذا الدرس أقسى وقعاً علىّ منه على « ميرا » ... على أننى سأحوله إلى صالحها على كل حال ، وسأمكنها من التمتع بحبها وبالحياة التى تريدها مهما كلفنى هذا الأمر من ثمن

ولما انتهى بى المطاف إلى الفندق كان أول ما عملته، ولو أن الليل كان قد انتصف، أن اتصلت بالطبيب تليفونياً

وكانت الممرضة هى التى ردت على ، وكان صوتها مضطرباً لاهثاً وهى تقول :

— يا لله لقد كنا نحاول البحث عنك ! ويحسن أن تحضر فى الحال . . . لماذا لم تقل لنا إن قلبها ضعيف ؟

لم أنتظر لأسمع أكثر من ذلك ، فقد استولى علىّ خبل الخوف فجريت إلى الشارع عارى الرأس لا أرتدى معطفى ، وكان الطبيب والممرضة يعالجان ابنتى المتجمدة فى عنف . والله وحده هو الذى يعلم مبلغ ما استولى على قلبى من الفزع عند ما رأيت ذلك الوجه الساكن الجميل

وتحرك جفناها على حين فجأة وانفتحا ، فابتسمت لى ابتسامة حلوة وقالت :

« مرحى يا أبى إنى لسعيدة بحضورك . . . لقد أردت أن أقول لك كل شىء . . . لقد خبرت كريس فى تلك الليلة بكل ما حدث ، وقد فهم . . . وأريد منك أن تسامحنى أيضاً . . . »

أهى التى تسألنى العفو ! بينما أنا الذى يجب أن أركع أمامها خجولاً ذليلاً ! أتسألنى العفو وأنا الذى حطمت حياتها بل وقتلتها ؟

ومضت تقول فى صوتها العذب الخافت :

« لقد حدث هذا بعد أن قرأت خبر زواج كريس فقد بدا لى أن لم يعد فى الوجود ما يهمنى ، وصحبنى الطبيب الذى كتبت لك عنه ، عدة مرات فى سيارته . وفى إحدى الليالى . . . وكنت شبه المجنونة من أثر التعاسة وانكسار القلب . . . خرجنا فى جولة ، وكان يواسينى بما فى وسعه من لطف ، وأفرغت له كل ما فى نفسى وأطلعته على قصتى كلها . فوقف السيارة ناحية فى الطريق الخلوى ومضى فى مواساتى وملاطفتى بروح الأخوة الصادقة ، وكان داخل السيارة المقفلة دافئاً ، فسألنى أن أسند رأسى إلى صدره ، وأحاول النوم لتهدأ أعصابى . ونمت فعلاً لحظة قصيرة ، وعلى حين فجأة استيقظت . . . و . . . و . . . »

واضطربت « ميرا » متشنجة وأمسكت يدى بشدة وقالت :

« آه ، يا أبى . . . لقد جاهدت فى دفعه عنى ، ولكنه كان مجنوناً فى شهوته ، وكنت فى ضعف حياله كالفأرة حيال القط . فبكيت وتوسلت إليه . . . ولكن على غير طائل . . . وبعد برهة أوصلنى إلى الكابة . . . وبدا عليه عندئذ أنه قد ندم على ما فعل وقال : إنه إذا حدث أى شىء فسيتزوج منى . ولكننى لما عدت إلى البيت وكتبت له . . . كان . . . ما عرفته أنت . . . لقد تزوج من الفتاة الأخرى »

وتقطع صوتها . . . وبدا فى عينيها الوديعتين وميض غير دنيوى . . . ومدت يدها آخر الأمر لتسحب رأسى فتقبلنى قبلة الوداع الأخيرة ، وكانت قبلة المأساة الهائلة . . . وكانت تلبس فى أصبعها خاتماً بفص ميلادها ، فلما مدت يدها صدم نتوء الخاتم جبهتى فجرحها ، ولكننى لم أشعر بشىء وهمست لى فى رقة : « قل لكريست إنى أحببته حتى اللحظة الأخيرة »

وزفرت زفرة خفيفة رقيقة كانت هى نفسها الأخير . . .

وبعد لحظة أبعدونى عن فراشها . وبدا على الطبيب والممرضة أنهما أصيبا بضربة مفزعة، ولكننى

لم أشعر نحوهما بشيء عن الشفقة ، لأنني أدركت أنه لو لم يكن هناك أناس من أمثالهم يعملون مثل عملهم للحصول على المال ، لبقيت ابنتي المحبوبة على قيد الحياة ... ولا يحسبن أحد أنني لم أدرك أنني كنت الملوم قبل أي إنسان آخر ... ولكن كان في الغدور أني أنفذ فكرتي الجنونية ... وعرفت على حين فجأة ما يجب علي أن أفعل لأنقذ على الأقل حياة طائفة من الفتيات الأخريات من أن يصيبهن مثل ما أصاب ميرا ...

لقد أسرعت في طريقي إلى مركز البوليس ، وهناك اعترفت بكل ما حدث .

وما أحب أن أصف ما بدا في المحاكمة من فزع ومن حزن . ولقد حكم على الطبيب بالسجن خمس سنوات ، وكذلك سجنت المرضة ، ولم أبال بما حدث لي ، فلقد كنت أعلم أن السجن خير جداً مما أستحق .

والآن أتمنى الموت ... ومع ذلك أخشاه ... لأنني لا أدري بماذا أجيب خالقي إذا سألني عن جريمة القتل التي اقترفتها ، نعم ، إن يدي ملطختان بدم ابنتي ، كما لو كنت أنا الذي قتلتها بنفسي .

لقد قتلتها بكبريائي وغيرتي وتحكمي ... وأنا الآن شيخ متهدم ... أعيش أنا ونانسي في وحشة كئيبة تعيسة . وحاولت نفسي مرة أن تتكلم عن « الجزاء العدل » ، ولكنني وقفتها بنظرة جمعت كل معاني الغضب والحقد ، فعقد لسانها في الحال ولم تنبس ... وإننا لنعيش صامتين لا نتحدث بشيء من ذلك الذي يفيض به قلبانا ...

وكريس ؟ إنه لا يخرج أبداً مع أية فتاة ... فقد مات قلبه هو أيضاً مع آخر نفس لفظته الفتاة التي أحبها . ولم يتمم قط بناء البيت الذي كان يعده لها . فما تم منه يقوم هناك مذكراً بالأحلام السعيدة التي لم تتحقق ، وبالأمل والإخلاص والحب وتلك العواطف التي وطئت تحت الأقدام إرضاء للثيرة الوقحة التي تملكت نفس أب أناني متعجرف .

وإني لأحمل في جبهتي آثار جرح أتحسسه من حين إلى حين ... فيذكرني بحنان تلك الطفلة التي مدت يدها لتعانقني في لحظتها الأخيرة وهي لا تدري بأنني المسؤول الأول عما أصابها !

على أن في قلبي جرحاً أكبر من جرح جبهتي خلفته السعادة الضائعة إلى الأبد ، والثقة التي قوبلت بالخيانة ، وما استولى على نفسي من يأس لا أمل وراءه ...

وقد يلتئم جرح جبهتي على مر السنين ... ولكن الموت وحده هو الذي يشفي جرح قلبي !

عبد الحميد حمدي

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا